شاعر العار

أمتـــي عفـــوكِ نـــارٌ كَلِمـــي ... فـــاعذُري، أوْ أطفئيهـــا في دمـــي

لا يَضِـــقْ صـــدرُكِ منهـــا فلقـــدْ ... كـــاد يَبلـــى مِـــنْ تلظيهـــا فمـــي

كلّمـــا قلـــتُ غـــداً تُطفئِهـــا ... بســـمةُ الآتـــي تشـــفّى ضَرمـــي

بسْـــمةُ الآتـــي؟! وهـــلْ آتٍ لنـــا ... أوَ تـــأتي صِحّـــةٌ مِـــنْ سَـــقمِ!!

أمتـــي عفـــوكِ مـــالي حيلـــةٌ ... إنْ غـــدا ينفُـــثُ نـــاراً قلمـــي

أيكـــونُ الشِـــعْرُ منـــي عابثـــاً ... ويـدي خصْمـي، وخصْمـي قدمـي!

إنّ حبّـــي عـــاذري إنْ تعـــذري ... وهـــو عـــذْري وحـــده إنْ تنقمـــي

كنـــتِ دهـــراً أمـــةً مـــن قِيَـــمِ ... وتنكّـــرتِ لكـــلِّ القِيَـــمِ

أنـــتِ مـــا أنـــتِ؟! مريـــبٌ مـــا أرى ... لســـتِ إلاّ عَدَمـــاً في عَـــدمِ

أُمَـــمُ الأرض لهـــا أمجادُهـــا ... ولنـــا كـــلُّ شـــقاءِ الأمـــمِ

أبْدَعَـــتْ أحْلامَهـــا، لكننـــا ... لَـــمْ نحقِّـــقْ مجدَنـــا في الحُلُـــمِ

فالجراحـــاتُ التـــي لَـــمْ أَحْصِهـــا ... جَـــفَّ منهـــا دونمـــا جـــرْحِ دمـــي

يبســـتْ كـــلُّ أمـــانيَّ التـــي ... كـــنَّ أقـــوى مـــن كمـــونِ الـــبرعمِ

وطغـــى يـــأسٌ بنفســـي قـــاتلٌ ... حينمـــا اســـتعلى عبيـــدُ الدرهـــمِ

فـــإذا الشـــعبُ لديهـــمْ نعجـــةٌ ... تتمشـــى بـــينَ ألْفـــيْ ضيْغَـــمِ

وإذا الحـــقُ الـــذي نحيـــا لـــه ... يُلبـــسُ الأحـــرارَ أخـــزى التُهـــمِ
لـــم أجِـــدْ ممّـــا دهانـــا ســـالِماً ... غـــيرُ مـــن ضللّنـــا لـــم يسْـــلمِ
فـــالذليلُ الوغـــدُ أمســـى مُكْرَمـــاً ... وذليـــلاً كـــلُّ حـــرٍّ مُكـــرَمِ
تخمـــةُ الأدواءِ شـــلّتْ جسْـــمنَا ... فهـــوى فـــوق صخـــورِ الألـــمِ
كـــلُّ داءٍ يُرتجـــى بـــرءٌ لـــه ... غـــير داءٍ قـــد ســـرى في القلـــمِ
لـــم يؤثّـــرْ ألـــفُ زلـــزالٍ بنـــا ... وســـقانا المـــوتَ ذلُّ الكلِـــمِ
وأشـــدُّ النـــاس ظُلمـــاً شـــاعرٌ ... عـــاشَ عمّـــا نابَنـــا في صمـــمِ
مـــلأ الدنيـــا مجونـــاً، وهـــوىً ... وتعـــامى عـــن شـــقاءِ اليُتـــمِ
إن دعـــاه الرقـــصُ لبّـــى مســـرعاً ... وإذا الحـــقُ دعـــا لَـــمْ يقـــدمِ
راحـــةُ البـــالِ لديْـــهِ شـــتمُنا ... نحـــنُ لـــولا حقـــدُه لـــمْ نُشـــتمِ
مـــا شُـــتِمنا مـــن عـــدوٍّ مثلمـــا ... قـــد شُـــتِمنا مـــن عـــدوِّ الشـــيمِ
فهـــو للأعـــداءِ صـــوتٌ وصـــدىً ... صـــادقُ النـــبرةِ حلْـــوُ النغـــمِ
حقـــدُه الأعمـــى علـــى تاريخنـــا ... لـــم يُلَطِّفـــهُ حلـــولُ الهـــرمِ
شـــاعرُ العـــار ويُشـــقيني اســـمُهُ ... إن يكـــنْ مـــرّ اســـمُه عَـــبْرَ فمـــي
أفتـــكُ الأدْواءِ فينـــا أدَبٌ ... مـــا تـــروّى مـــن معـــين القيـــمِ
فـــإذا الحـــقُ لديْـــهِ بـــاطلٌ ... وإذا الذئـــبُ صديـــقُ الغنـــمِ
وإذا العـــيُ خطيـــبٌ وإذا ... منبـــعُ الفصحـــى لســـانُ الأعجمـــي

لن ترى إن يُقهرِ الحقُ سوى ... ظُلَمٍ تمتدُّ خلفَ الظُّلَمِ
لا ولا حراً بعدلٍ هاتفاً ... لا ولا عِزّاً لغير المجرمِ
كلُ أمرٍ عنده منقلبٌ ... فإذا القائمُ مثل المرتمي
وإذا الدِّينُ لِباسُ خَلِقٌ ... زاده نكْراً غبارُ التّهمِ
وإذا نحن على سُلّمِنا ... وإلى الأسفلِ وجهُ السُلَّمِ
وإذا المركبُ في اليمِّ له ... ألفُ ربّانٍ بليلٍ مُظلمِ
جعلتهُ مِزَقاً نارُ الهوى ... فاعجبي للمركبِ المنقسمِ!
والرياحُ الهُوجُ ما زالتْ كما ... يشتهي الجاني حَبالى نقمِ
كلّما تولد فينا نقمةٌ ... حَبلَتْ منّا بألفي توأمِ
قد تطاقُ النارُ لولا أنها ... من يد الربّانِ كلُّ الحممِ
هكذا نحيا ويحيا كلُ من ... حادَ عن نهْجِ السّماءِ الأقومِ

❖❖❖

أمتي عفوَكَ نارٌ كلمي ... فاعذري أو أطفئيها في دمي
كيف يرجى بُرءُ داءٍ مُزمنٍ ... لم يجد طِبّاً سوى فدْمِ عمي!
وترى كلَّ هجينٍ مالئاً ... ساحَنا دون الأصيلِ الأكرمِ
داؤنا يا أمتي أخلاقنا ... وسَعتْ حتى جنونَ المجرمِ
صدْرُنا الرَّحْبُ أما آنَ له ... أن يضيقَ اليومَ بالمنهزمِ؟!

قد وسِعْنا كلّ ذي مفسدةٍ ... ولشرع الله لم نحتكمِ

وقطعنا ضِلَّةً أرحامَنا ... وأبَيْنا حِفظَ حقِّ الرحمِ

أفسدَتنا شهوةُ الحكمِ التي ... قد علمنا أنّها لم تَدُمِ

لم يعدْ منّا «أبو ذرٍّ» ولا ... هي منا نخوةُ المعتصمِ

فإذا نحن كما يهوى العِدى ... أعلِمنا ذاك أمْ لم نعلمِ

ما لنا ممّا ملكنا غير ما ... قسَمَ الشحُّ لأشقى الخَدَمِ

لم تَعدْ للدّين فينا نسبةٌ ... لا ولا للحقِّ أوْ للقيمِ

إنَّ مَنْ يفسدُ فينا أمتهِ ... لَهْوَ منبوذٌ بكلّ الأممِ

❖❖❖

أمتي عفوَ أمانيَّ التي ... لم تزلْ في مقلتي كالبرعمِ

أنتَ أصْلُ الحق يا أمَّته ... ورجاءُ الحق رغمَ الظُّلمِ

أوَما كنت له في مَهْدِهِ ... وهو إلا لكِ لا لن ينتمي

شهِدَ الدهرُ بأنّا والهدى ... خيرُ من مرَّ به من توأمِ

حسْبُه أنّا سنحيا للهدى ... وسنبقى بالهدى كالأنجمِ

قد يطولُ النومُ، قد يطغى الأسى ... غيرَ أن العزَّ طبعُ المسلمِ

فهو فوق اليأسِ فوق المشتكى ... يفتدي عزَّ هداه بالدمِ

ما سواه المرتجى رغمَ الأسى ... ما سواه منقذٌ للأممِ